شبكة الألوكة
www.alukah.net

المكتبة الأزهرية

مخطوطة

المتمة للمسألة المهمة

المؤلف

عبدالله إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني الشهرزوري الشهراني المدني

البداية

التتمه للمسئله المهمه

تحرى شيخنا ومعتمدنا عبد الله ابراهيم
ابن حسن الكردي الكوراني الشهرزوري
الشهراني ثم المدني كان الله
له عنه فيما وبلغه
آماله
آم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى
الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم الحمد لله الذى لا اله الا هو الحى القيوم القايل وان من شئ
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى تجلى له كل شئ
فعرفه ما هو المكتوم وعلى الد واصحابه البررة الكمل الهداة المهتدين بانوار العلوم اما
بعد فانه من المقرر المعلوم عند ذوى التحصيل ان المسئلة الخلافية التى فيها
اقوال كثيرة عند لا يرد قول قايل ما منهم بمجرد ان قايلا اخر قال بخلافه فى تلك المسئلة
بل العمدة فى الرد والقبول البرهان ان لم يكن ثمة كشف وعيان فاى قول منها تم دليلا سالما
من القادحات والموانع والمعارضات فذلك المرجوع اليه من بينها كما ان ذلك القايل به
من كان كما قال على ولى ذى الجلال انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال او كما قال وذلك
لان الرجال تعرف بالحق لا الحق بالرجال ولكن معرفة الرجال بالحق انما هو من شان
اولى الالباب واما من دون درجتهم فانما يميل الى الاقتداء بمن اشتهر فضله فى
ذلك الباب وكل ميسر لما خلق له وكل شئ عنده بمقدار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار
وعلى هذا فلا ينبغى ان يرد قول من قال ان القدرة واحدة بالذات متعددة
بالنسب والاعتبارات وانها من حيث كونها مضافة الى العباد دراكا تاثيرا فى المراد
باذن الله لا على الاستقلال كانبا القايل من كان بمجرد ان الغزالى مثلا قال بخلافه
او ان الاشاعرة قالوا بخلافه على فرض ان ثم خلافا بين القولين مع اننا سنظهر
التوافق بينهما من وجه ان شاء الله تعالى فان الغزالى وان جرى فى قواعد العقايد
وما وضع من الاجاء على المشهور من معنى الكسب لكنه قدح فيه وفى تسميته بجبر
والاستقلال فى كتاب التوبة وانشا الى ان تحقيق المسئلة انما يتم بكلام يناطح
علوم المكاشفة وهو كذلك وقد ذكر ما فيه الكفاية لذلك فى كتاب الشكر وكتاب الشوق
والمحبة من الاجاء وفى كتاب جواهر القرآن كما سيجئ نقله ان شاء الله تعالى وسنظهر
عند التحقيق والامعان انه اى القول بالتاثير بالاذن كقول الاشعرى فى انه لا تاثير لغير
قدرة الحق وانما الذى ينبغى ان يقال ان الدلايل التى سيتلى اثباتها لا تتم وان دلايل
غيره الذى يقبل قوله كانبا من كان تامة ودون اخراط القتاد وكشف الغطاء عن
مسئلتنا هذه اعنى مسئلة خلق الاعمال على وجه يستحليه اهل النظر يقتضى بسطا

وتفصيلا

العمدة فى الرد والقبول
البرهان ان لم يكن ثمة
كشف وعيان

وفى الكلام ربما يضيق هذا الوقت عنه الوفاء به ولكن نورد منه ذلك ما يسره الله
واذن فى ايراده فانه لا حول ولا قوة الا بالله فنقول اعلم ان التوحيد له مراتب
اربع الاول توحيد الالوهية الثانى توحيد الافعال الثالث توحيد الصفات

مراتب التوحيد اربعة

وان شئت قلت توحيد الوجوب الذاتى فانه يستلزم سايل الصفات الكمالية كما نبه
عليه بعض المحققين الرابع توحيد الذات وان شئت قلت توحيد الوجود الحقيقى فان
المال واحد اما الاول فقد دل عليه الدلايل السمعية وانعقد عليه اجماع الانبيا
وكلهم دعوا المكلفين اولا الى هذا التوحيد ونهوهم عن الاشراك فى العبادة قال تعالى و
ما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون بعد قوله ام اتخذوا
من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون وقال تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون واما الثانى فكذلك دلت عليه الدلايل السمعية مثل
قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون ومثل قوله صلى الله عليه و
سلم ان الله صانع كل صانع وصنعته اخرجه البخارى فى خلق افعال العباد والحاكم و
البيهقى فى الاسماء والصفات من حديث رضى الله عنه واما الثالث فان الدلايل
السمعية دالة عليه ايضا مثل قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى
فانه حصر الغنى فيه تعالى كما يدل عليه توسيط الخبر وضمير الفصل ولا يكون كذلك الا اذا
كان واجب الوجود فان الممكن فقير بلا شك واذا كان واجب الوجود كان متصفا
بجميع الكمالات فانه يستلزمها كما بين فى محله وان شئت قلت ولا يكون كذلك الا
اذا كان متصفا بجميع صفات الكمالات اذ لو كان كمال ما لغيره لم يثبت له الغنى المطلق
ولا ثبت فقر الناس اليه مطلقا وهو ظاهر لكن الغنى المطلق له تعالى والفقر المطلق للممكن
اليه تعالى حاصلان فيكون سبحانه متصفا بجميع صفات الكمال منحصرة فيه بالذات وهو
المطلوب ومثل قوله تعالى هو الاول فان حصر الاولية فيه يستلزم وجوب وجوده
فان الممكن ثان فى رتبة الوجود للواجب فان وجوده مستفاد من الواجب فلا يصح

للممكن الاولية اصلا فانبت له الاولية مطلقا يكون واجب الوجود والحق تعا هو الاول وهو
الواجب الوجود لذاته وقد مر انه يستلزم سايرصفات الكمال فانحصر صفات الكمال فيه تعا
بالذات وهو المطلوب او نقول اذا ثبت اولية الواجب للممكن فلا شك ان الممكن مفتقر اليه
في اصل وجوده وجميع كمالاته المترتبة على وجوده والمفيد لا يفيد الا ما عنده البتة
وقد اوجد الممكن متصفا بصفات الكمال فدل على ثبوتها للاول على وجه الانحصار فيه بالذات
وهو المطلوب **واما الرابع** فقد قامت عليه الادلة السمعية ايضا مثل قوله تعا
هو الاول والاخر والظاهر والباطن وقوله تعا الا انه بكل شيء محيط وقوله وهو معكم
اينما كنتم وقوله تعا الله نور السموات والارض وغير ذلك ومثل قوله صلى الله عليه
وسلم اصدق كلمة قالت العرب كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وقوله صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على
الله ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي
من حديث ابي هريرة الى غير ذلك فانا لسنا الآن بصدد الاستقصاء وانما المقصود
التلويح والتنبيه تمهيدا للغرض الاصلي الذي يراد توصيله الى افهامهم **الا ان**
ههنا نكتة ينبغي التنبيه عليها وهي ان كلمة لا اله الا الله جامعة لجميع مراتب
التوحيد ودالة عليها اما منطوقا او بالاستلزام وذلك ان لا اله الا الله
منطوقه قصر الالوهية على الله تعا قصرا حقيقيا اي نبات الالوهية له تعا بالضرورة
ونفيها عن كل ما سواه كذلك وهو ظاهر وقد اومأ ضمنا الى اثباته الانبياء وهو يستلزم
توحيد الافعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات **اما الاول** الذي هو
حصر الخالقية فيه تعا فلان مقتضى قصر الالوهية عليه تعا قصرا حقيقيا هو ان الله
سبحانه هو الذي يستحق ان يعبده كل مخلوق فهو النافع الضار على الاطلاق
فهو الخالق لكل شيء فان كل من لا يكون خالقا لكل شيء لا يكون نافعا ضارا على الاطلاق
وكل من لا يكون نافعا ضارا على الاطلاق لا يستحق ان يعبده كل مخلوق لان العبادة هي الطاعة والانقياد والخضوع ومن لا يملك
نفعا ولا ضرا بالنسبة الى بعض المخلوقين لا يستحق ان يعبده ذلك البعض ويطيعه و
ينقاد له فان من لا يقدر على ايصال نفع الى شخص او دفع ضر عنه لا يرجوه ومن
لا يقدر على ايصال ضر اليه لا يخافه وكل من لا يخاف ولا يرجى اصلا لا يستحق ان يعبد

وهو

وهو ظاهر لكن الذي يقتضيه قصر الالوهية عليه تعا في لا اله الا الله قصرا حقيقيا هو ان الله
تعا هو الذي يستحق ان يعبده كل مخلوق فهو النافع الضار على الاطلاق فهو الخالق
لكل شيء وهو المطلوب **واما الثاني** وهو توحيد الصفات او توحيد وجوب الوجود
فلان لا اله الا الله تدل على ان الالوهية ثابتة لله تعا ثبوتا مستمرا ممتنع الانفكاك
ومنتفية عن غيره تعا انتفاء مستمرا ممتنع الانفكاك وكلما كان كذلك فهي دالة
على ان الله تعا واجب الوجود وان كل موجود سواه ممكن الوجود وكلما كان كذلك كان
وجوب الوجود مقصورا عليه وهو مستلزم لسائر صفات الكمال وهو المطلوب
اما دلالتها على انه تعا واجب الوجود فلان الالوهية لا تكون صفة الا لموجود
حقيقة واتفاقا وكل حال لا يكون صفة الا لموجود اذ دل كلام على انه ثابت لشيء ثبوتا
ممتنع الانفكاك مستمرا ولا يكون كذلك الا اذا كان موجود الذات وهو المعنى
بواجب الوجود لذاته وقد دل لا اله الا الله على ثبوت الالوهية لله تعا ثبوتا
مستمرا ممتنع الانفكاك فقد دل على وجوب وجوده تعا وهو مستلزم لسائر
صفات الكمال وهو المطلوب **واما** دلالتها على ان كل موجود سواه تعا فهو ممكن
الوجود فلان هو وجود اما سواه لو كان واجب الوجود لذاته لكان مستحقا
ان يعبد لكن لا اله الا الله قد دلت انه لا يستحق ان يعبد الا الله دلالة قاطعة
فقد دلت على انه لا واجب وجوده لذاته الا الله فكل ما سواه فهو ممكن وهو
المطلوب **او نقول** قد دل لا اله الا الله على ان الله هو النافع الضار على الاطلاق
فهو الجامع لصفات الجلال والاكرام فهو المتصف بصفات الكمال كلها وهو المطلوب
واما الثالث وهو توحيد الوجود الحقيقي فقد قال الامام الغزالي رحمه الله
تعا في باب الصدق من الاحياء كل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى
عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا
له انتهى وقال في باب الزهد منه من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب
معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه انتهى وقال في الباب الثالث من
كتاب العلم منه كل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبودا قال تعا افرايت من

سر ممكنا فقد دل على ان الوجود ثابت للممكن ثبوتا مستمرا ممتنع الانفكاك ٥٢

اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هوا الهوى
انتهى ومن المعلوم انه ما في الوجود شيء الا وهو مطلوب لطالب ما وقد صح بما
مر اطلاق الالد عليه ولا اله الا الله ما في الوجود حقيقة الا الله فليفهم فانه مسلك
قريب موجز والوقت لا يسع ايضاحه مفصلا واذا تبين لك دلالة لا اله الا الله
على جميع مراتب التوحيد لاح لك ان الشارع لا مر ما جعلها مفتاح الاسلام
واساس الدين ومهداة الانام فانها على ايجازها واختصارها تضمنت التفاصيل
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والمراتب الاربع كما دلت عليها الادلة
السمعية كذلك دل عليها الكشف الصحيح والعيان الصريح والمرتبتان
الاوليان دل عليهما العقل بالنظر الفكري والاخيرتان دل عليهما العقل ايضا لكن لا
من حيث نظره الفكري بل من حيث قبوله ما جاء به الصادق ثم ترتيب المقدمات
قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله
بكل شيء عليم فالايمان بالله شرط لهداية القلب فهذا القسم من العلم لا يهتدي
اليه العقل من حيث نظره الفكري وانما يهتدي اليه من حيث ايمانه بما جاء به
الصادق على حسب ما يقتضيه ظاهر اللسان الذي ارسل به ذلك الرسول فان
الله تعالى يقول وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ثم بين الفائدة والحكمة
بقوله ليبين لهم فيفقهوا عنه ويعلموا ما هو الامر عليه بسرعة فمن امن مثل
هذا الايمان بما جاء به الشرع يهدي الله قلبه الى ما هو الامر عليه وبعد هداية الله
اياه الى ذلك امكنه الترتيب والتعبير عنه ان اذن الله في ذلك ومن تكلم في
شرحها بما هو خلاف مقتضى ظاهر اللغة فلم يؤمن بالله وبما جاء من عنده كمال
الايمان فلم تتحقق شرط الهداية الالهية في حقه فان لم يهد الله قلبه الى ما هو
الامر عليه فلا يلوم الا نفسه حيث دخل في زمرة من يحرفون الكلم عن
مواضعه من حيث لا يشعر ونسال الله التوفيق لكمال الايمان انه الكريم المنان
ولا يخفى ان من قال بالمرتبة الرابعة فهو قائل بسائر المراتب فانها تتضمنها تضمنا
واضحا وكذلك من قال بتوحيد الصفات فهو قائل ببقية المراتب وهكذا فان
كل مرتبة عالية تتضمن ما تحتها تنازلا كما ان كل مرتبة سافلة تستلزم ما فوقها

صاعدا كما يظهر مما قررناه وكل من امن بمضمون لا اله الا الله بعد فهم معناها فهو قائل
بتوحيد الالوهية للخالق وقولنا بعد فهم معناها احترازا عن نحو من يقول ان الله هو
المسيح بن مريم فان مثل هذا لو قال لا اله الا الله لم يكن قائلا بحصر الالوهية في الله
سبحانه وتعالى اذ لم يفهم معنى الله حيث وضعه على محكوم وحصره فيه كما يدل عليه
تعريف الخبر وضمير الفصل فاهل الايمان كافة متفقون على المرتبة الاولى واما بقية
المراتب فلم يتفقوا على شيء منها بل قد علم كل اناس مشربهم في كل منها وكل ميسر لما
خلق له ونحن والحمد لله القائلون بالمراتب الاربع بالهداية الالهية التي تتضمنها الايمان
بالله وبما جاء من عند الله كما اراد الله كما تتحكم فيه العقول بافكارها ولما كان المرتبة
التي هي بعد توحيد الالوهية من حيث الترقي هي مرتبة توحيد الافعال لهذا صار محل
النزاع بين الفرق نزاعا متشعبا دون ما فوقها من المرتبتين الاخيرتين
فان الشغل بهذه المرتبة وغموض ما فوقها من المرتبتين اوجب قلة الالتفات
اليهما فلم يرفع اليهما راسا الا من شاء الله ثم انهم بعد ذلك منهم ومنهم وقد
فاز اهل الكشف الصحيح باذن الله بجلية الحال والحمد لله المنعم المتعال ولما كان
مرتبة توحيد الصفات فوق مرتبة توحيد الافعال ومتضمنة لها كان الدخول
الى توحيد الافعال من باب توحيد الصفات اوضح واسهل وارقى وانفع لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فنحن اذا قلنا ان القدرة واحدة بالذات
متعددة بالنسب والاعتبارات ثم عممنا وقلنا وكل صفة من صفات الكمال
المتصف بها الحق سبحانه التي اظهرها الله فيمن شاء من عباده من الحيوة والعلم
والارادة والسمع والبصر والكلام وغيرها كذلك واحدة بالذات متعددة
بالاعتبارات فقد قلنا بمرتبة توحيد الصفات ثم دخلنا الى توحيد الافعال
من باب توحيد الصفات ودللنا طالب الحق الى الترقي الى درجة اعلى في ضمن
تقرير مطلوبه الا هم الاقرب اليه من حيث الترقي اعني توحيد الافعال وهذا
مسلك حسن لمن استبصر ولا شك عند كل ذي بصيرة ان القدرة التي هي
صفة الحق من حيث كونها صفة للحق موثرة على وفق الارادة قطعا واتفاقا فلا بد
ان تكون موثرة من حيث كونها ظاهرة في العباد باذن الله تعالى ايضا فان ذلك ليس

ماكم

خروجا من توحيد الافعال وقولا بان ثمة قدرة مؤثرة في الايجاد غير قدرة الحق كما يقول به من يقول فانا قد ذهبنا الى ان القدرة واحدة بالذات مختلفة بالنسب والاعتبارات بل قلنا ان جميع الصفات كذلك حيث ذهبنا الى توحيد الصفات فكيف يتصور منا القايل بتوحيد الصفات ان يقول ان ثمة قدرة مؤثرة غير قدرة الحق بالذات ولا قدرة ثمة عنده حقيقة غير قدرة الحق وهذا واضح جدا لمن تامل وان كان المطلب في حد ذاته دقيقا وغامضا بل هو قول بان لا مؤثر في الوجود الا الله تعالى بقدرته ولكن غموض المطلب وخفاء تطبيق هذا على ما يقوله الشيخ الاشعري رحمه الله اوهم خلاف المقصود وكان سبب ذلك ان الاذهان قد تنكر فيها ان القدرة المضافة الى العبد لا تاثير لها في عمله عند الاشاعرة فحتى سمع الناظر بتاثير القدرة المضافة الى العبد توهم ان هذا ميل الى مذهب المعتزلة وخروج عن قول الشيخ الاشعري وكان الانسان عجولا فهلا تثبت ونظر في سوابق الكلام ولواحقه وربط بعضها ببعض واستنتج منها ما هو المقصود فواعجبا هل يليق ان يتوهم في حق من يقول ان القدرة واحدة بالذات ذات نسبتين ان يقول بالتاثير لغير قدرة الحق حقيقة ان هذا الشيء عجاب وان كان لا عجب منا امر الله **فنتعاطى** حينئذ ان نوفي ما يسر الله واذن في ايراده مما يتضح به المرام • وبيده نمتح بدء الاوام • باذن الله الملك العلام • ونظهر تطبيقه على مذهب الاشعري في اند لا تاثير لغير قدرة الحق سبحانه وتعالى واوضح التطبيق ونفوق عليه بما اشتمل عليه من فايدة زايدة وبالله التوفيق • **فنقول** من المقرر عند اهل التحقيق ان الذوات كما ان لها بسبب تعلق الاوصاف بها ونسبتها اليها احكاما تتصف بها كذلك للصفات بسبب تعلقها بالذوات ونسبتها اليها احكاما **مثلا** ان الذات بسبب تعلق العلم بها ونسبته اليها تتصف بكونها عالمة والعلم بسبب نسبته اليها يتصف بكونه قديما ان نسب الى القديم وحادثا ان نسب الى الحادث والحقيقة واحدة والحكم مختلف لاختلاف ما نسب اليها من الذوات قدما وحدوثا وعلى هذا قياس سايرالصفات من الحيوة والارادة والسمع والبصر والكلام وغيرها **اذا تمهد** هذا فنقول القدرة حقيقة واحدة في القديم قديمة وفي الحادث حادثة وهي كسايرالكمالات كلها للحق

سبحانه

سبحانه وتعالى بالذات بناء على توحيد الصفات فان الله كان ولم يكن شيء غيره وكان متصفا بجميع الكمالات بالذات فكل كمال لغيره فهو مستفاد منه لانه الموجد له فيه وهو لا يفيد لغيره كمالا ليس عنده فلله القدرة حقيقة وهي من حيث انها صفة تعالى موثرة على وفق الارادة قطعا واتفاقا فاذا اراد الله ايجاد شيء في مظاهر العباد وعند تحريك الاتهم تعلق ارادتهم بذلك الفعل بمشيئة الله فان الله تعالى يقول وما تشاؤن الا ان يشاء الله فما تعلق مشيئتهم بشيء ما من الاشياء الا بمشيئة الله بل مشيئتهم على ما قررناه من توحيد الصفات عين مشيئته تعالى الظاهرة عليهم وبحسبهم اي عين المفاض عليهم من اشعة انوار مشيئة الحق سبحانه على حسب ما يليق باستعدادهم مما هو مقتضى الحكمة تفضلا من غير توهم تجزية او حلول او اتحاد وكما يقرب الى الذهن السليم اشراق الشمس على الزجاجات المختلفة الاشكال والالوان وله المثل الاعلى ثم خلق الله الفعل بقدرته من حيث ظهرها في العبد بعد تعلق المشيئة من العبد ان اراد ذلك فان الله قد يشاء من العبد ان يشاء شيئا ولا يشاء ان يخلق ذلك المشيء اي لا يمكنه من احداث ذلك الفعل ولا باذن له في ذلك وقد يشاء المشيئة ويشاء خلق ذلك المشيء وتمكين العبد منه فتلخص ان حقيقة الكسب هو تحصيل العبد بقدرته الموثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئة الموافقة لمشيئة الله واذا كانت القدرة واحدة بالحقيقة مختلفة بالاعتبار فان شئت قلت التاثير لقدرة الحق تعالى عند تعلق ارادته بصدور ذلك الفعل من العبد عند تعلق ارادته ايضا وان شئت قلت التاثير للقدرة المضافة الى العبد لكن باذن الله وتمكينه لا استقلالا فان المؤثر واحد وذلك لان المراد باذن الله هنا تمكينه للعبد فيما يريده عند توافق المشيئتين كما قال تعالى انا مكناهم في الارض وقال ما مكني فيه ربي خير وهو المراد بالاعانة المطلوب في اياك نستعين وهو راجع الى تجلي الحق سبحانه في العبد باسمه الفعال وكلما كان كذلك فلا اشكال اذ ليس ثم تاثير لغير قدرة الحق حقيقة وانما هو لغيرها نسبة واعتبارا لا حقيقة اذ التاثير يرجع الى تعلق ارادته تعالى بخلق ذلك الفعل عند تعلق مشيئة العبد به التي هي من مشيئة بقدرته من حيث انها مضافة الى العبد وظاهرة فيه اي من حيث تجليه باسمه الفعال

في ذلك العبد وهي بسبب ذلك لا تخرج عن كونها قدرة الحق حقيقة وان عرض لها
الاضافة الى العبد والاتصاف بالحدوث فان ذلك منه حكم المحل والموطن ومقتضى
المظهر والحكم للمواطن في الحقايق قديما وحادثا عند اهل التحقيق قال سيد الطايفة
الجنيد قدس سره لون الماء لون انائه فيما لها منه كلمة انت على كلمات بل على حكم المظاهر
اعلاها واسفلها فليس للعبد تاثير بقدرة هي غير قدرة الحق حقيقة حتى يتوهم
ماذكر بل لا تاثير الا لقدرة الحق حقيقة البتة الا انها تضاف تارة الى العبد وتعتبر
لها احكام منه حيث ظهرت في ذلك المظهر وذلك غير قادح فيما قصدناه فان المقصد
ان التاثير انما هو لقدرة الحق حقيقة جملة واحدة وان اضيفت الى العباد حيث
اضيفت وماذكرناه وافى بهذا المقصد وان عرض للقدرة منه حيث اضافتها للعبد
احكام لم تكن لها منه غير تلك الاضافة **وبهذا** اى ان التاثير لقدرة الحق جملة
واحدة هو بعينه قول الاشعري غير ان الاشعري حيث لم يظهر من كلام الناقلين عنه
فيما ارتاه الى الان انه قايل بتوحيد الصفات بل يظهر من كلامهم انه اثبت قدرة حادثة
مغايرة بالحقيقة لقدرة الحق لزمه ان يقول ليس للعبد قدرة موثرة اصلا بل كاسبة
بالمعنى المشهور للكسب الذي هو تعلق ارادة العبد بفعل ما دون غيره فيوجده
الاقتدار الالهي وحل عند ذلك التعلق منه غير محل لتاثير قدرة العبد بناء
على تغاير القدرتين بالذات فلم يصح ان ينسب التاثير الى قدرة العبد بعد فرض
كونها مغايرة لقدرة الحق بالذات والاعتبار اذ لا تاثير الا لقدرة الحق حقيقة البتة
وان كانت في العبد غيرها اعتبارا ورفع القدرة على قول الاشعري في المشهور غير قدرة
الحق حقيقة واعتبارا فلا يصح ان ينسب اليها التاثير اصلا وبهذا فارق ماذهبنا
اليه وقررناه عما ذهب اليه الشيخ الاشعري في المشهور عنه وهو فرق غير قادح في
توحيد الافعال الذي نحن بصدد ايضاحه غاية الامر انا اثبتناه باثبات درجة
اخرى ارقى منها في توحيد الصفات وهولاء الاشاعرة اثبتوه من طريقة اخرى
لم يمروا فيها على تلك الدرجة وذلك امر اخر لا يقدح في المقصود وقد اتضح للذكي
المنصف حسن المسلك الذي سلكناه وانه لا يناقي قول الاشعري في ان التاثير انما
هو لقدرة الحق مع اشتماله على فايدة زايدة هي الاشارة الى مرتبة توحيد الصفات

وزاد

واذ قد ظهر موافقة ما ذهبنا اليه لقول الشيخ الاشعري من الوجه المطلوب ظهر اضمحلال
الشبهة التي توهم الناظر بسببها ان ما ذهبنا اليه مخالف لما قرره الغزالي في مواضع
من الاحياء من الكسب الذي هو مذهب الاشاعرة وانه مستلزم لاجتماع المؤثرين
على اثر واحد اما الاول فظاهر مما تبين من انهما متفقان في انه لا موثر حقيقة الا الله
وان اختلفا في الاصل وهو ان قولنا مبني على توحيد الصفات فلا يلزم منه القول بتاثير
قدرة العبد ما بنا في توحيد الافعال وقول الاشعري مبني على ان لا تاثير لقدرة العبد
اصلا لكونها مغايرة بالذات عنده في المشهور لقدرة الحق وان كان هذا الاصل لا يتم
دليله عند التحقيق والله اعلم واما الثاني فظاهر منه لمن تامل فان من لا يقول بوجود
قدرتين حقيقة كيف يلزمه القول باجتماع المؤثرين حقيقة على اثر واحد فان
القدرة اذا كانت واحدة بالذات فلا موثرين حقيقة والتعدد الاعتباري بسبب
الاضافة الى العباد والاضافة عليهم لا يوجب وجود موثرين حقيقة وهو ظاهر واما موافقته لقول الامام ابي حامد الغزالي الذي اختاره فيظهر من نقل كلامه
فنقول قال رحمه الله في كتاب التوبة بعد قدحه في الاقوال الثلاثة فان قلت
فقد قضيت على كل واحد من القايلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من
وجه وهو مع صدقه قاصر وهو متناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال
ذلك الى الافهام بمثال قلت اوضح المقام بقصة العميان مع الفيل الذي لمس كل منهم
من اعضايه ثم اخذ يخبر عنه الفيل بان هيئته كالعضو الذي لمسه الى ان قال في اثناء
الكلام واذا كان هذا كلاما بناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس في لكنه
غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده انتهى وما بناطح هذا الكلام من علوم المكاشفة
هو توحيد الصفات وقد قال في كتاب الشكر ولا قادر الا الملك الجبار وقال في
باب المحبة من جواهر القرآن لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره
القدر الذي اعطاه وهو قول بتوحيد الصفات المستلزم لتوحيد الافعال مع اثبات
الكسب وتاثير قدرة العبد بالاذن لا بالاستقلال كما يوضحه قوله في اوايل جواهر القرآن
في قوله تعالى واياك نستعين ما نصه ان العبد لا يستقل بنفسه دون معونته واوضح
منه ما في كتاب الشوق والمحبة من الاحياء من قوله وما هو قادر عليه يعني الانسان

من نفسه او غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته
وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى
شخص من الحيوانات لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في
اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا مكنا له في الارض الخ فلم يكن جميع ملكه و
سلطنته الا بتمكين الله اياه في جزء من الارض الخ انتهى وهو واضح في ان العبد
لقدرته تاثير بتمكين الله واذنه لا مستقلا وهذا لا ينافي الايمان بتوحيد الصفات
وتوحيد الصفات لا يحققه الا اصحاب الكشف ثم من هداه الله من المومنين
بالمتشابهات على مراد الله وبكلامهم وبالله التوفيق ثم انا وان اوردنا الادلة
السمعية على ما ذهبنا اليه في غير هذه العجالة فلا باس ان نورد شيئا منها ههنا
ايضاحا لما قررناه مزيد ايضاح على ان التجلي لا يتكرر وان اوهم ذلك تجددا
والتباس الامر على من لم يخرج من ظهر الوهم والخيال قال سبحانه وتعالى ايهم
في لبس من خلق جديد فنقول وبالله التوفيق ان الله سبحانه وتعالى كان ولم
يكن شيء غيره وكان كنزا مخفيا فاحب ان يعرف فخلق الخلق ليعبدوه باذنه
وسبق في علمه ان يكونوا قسمين على ما يدل عليه ايتا الفريقين وحديث القبضتين
ولما اخذ عليهم الميثاق حين استخرجهم من ظهور ابائهم بعد استخراجهم من ظهر
ابيهم ادم عليه الصلاة والسلام وعدهم ان يرسل اليهم رسله وينزل اليهم
كتبه يذكرونهم عهده وميثاقه وقد وفى بما وعد ومن اوفى بعهده من الله
فقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فكان فيما
جاءوا به رسله اوامره ونواهيه مثل قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي وقوله اقيموا
الصلوة واتوا الزكوة وقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من
قبلكم ومثل قوله واشكروا لي ولا تكفرون ولا تكونوا اول كافر به ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبعيد من الحكيم ان يقول
امش يا معدوم وافعل يا من لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فلا بد ان يكون للفعل
وجه نسبة الى العبد به صح في الحكمة امره ونهيه ثم نسبة العمل اليه فعلا وتركا وما
يترتب عليهما من الثواب والعقاب فاختلف الناس في وجه تلك النسبة ما هو فمنهم

قائل ومنهم قائل وضبط الخلاف على ما ذكروه هو ان افعال العباد اما ان يكون حصولها
بقدرة الله تعالى وارادته من غير مدخل لقدرة العبد وارادته فيه وهو قول الشيخ الاشعري
على المشهور ومن وافقه لانه قائل بان للعبد قدرة لكن لا تاثير لها وبهذا يعلم قولهم
قدرة العبد مصاحبة غير موثرة بخلاف الجبهي انه قائل بان العبد لا قدرة له اصلا
واما ان يكون حصولها بقدرة وارادته من غير مدخل لقدرة الله وارادته فيها
بلا واسطة اذ لا ينكر عاقل ان الاقدار والتمكين مستندان اليه تعالى اما ابتداء
او بواسطة وهو قول المعتزلة القائلين بان العبد خالق لافعاله الاختيارية بقدرته
وارادته استقلالا وان اراد الله خلافها وان كان الاقدار والتمكين منه تعالى واما
ان يكون حصولها بمجموع القدرتين قال في شرح المواقف وقالت طائفة اي
افعال العبد واقعة بالقدرتين معا ثم اختلفوا فقال الاستاد بمجموع القدرتين
على ان يتعلقا جميعا بالفعل نفسه وجوز اجتماع المؤثرين على اثر واحد وقال
القاضي على ان يتعلق قدرة الله تعالى باصل الفعل وقدرة العبد بصفته اعني بكونه
طاعة ومعصية الى غير ذلك من الاوصاف التي لا يوصف بها افعاله تعالى كما في الظلم اليتيم
تاديبا وايذاء وقالت الحكماء وامام الحرمين وابو الحسين هي واقعة على سبيل
الوجوب وامتناع التخلف لقدرة يخلقها الله تعالى في العبد اذا قارنت حصول الشرائط
وارتفاع الموانع انتهى والذي قرره امام الحرمين في ارشاده هو الكسب بالمعنى
المشهور الذي ذهب اليه الاشعري والذي نقله بعض المتاخرين عنه هو ان قدرة
العبد موثرة لا استقلالا بل على اقدار قدرة الله فحصل للامام ثلاثة اقوال في المسئلة
ويمكن ارجاع الثالث الى الاول فان وقوع الفعل بقدرة يخلقها الله في العبد اذا
قارنت حصول الشرائط وارتفاع الموانع كما في المواقف هو معنى انها موثرة لا استقلالا
بل على اقدار قدرة الله فان تاثيرها عند موافقة اقدار قدرة الله هو خلقه فيه بمقارنة
لحصول الشرائط وارتفاع الموانع وعلى هذا يبقى للامام قولان في المسئلة الكسب
كالاشعري في المشهور والخلق على اقدار قدرة الله لا استقلالا ثم وقفنا على ان الاخير
هو المعتمد من قوليه لانه اخر قوليه ذكره في النظامية التي الفها بعد الارشاد وقال في
آخره بعد بسط فهذا والله هو الحق الذي لا غطاء دونه ولا مراء فيه لمن وعاه حق وعيه

انتهى لكن صرح في النظامية في غير ما موضع منه ان تاثير قدرة العبد في فعله
باذن الله انما هو بالاختيار وليس فيه ما يدل على ان تاثيرها بالايجاب كما نقلوه
عنه مع الفلاسفة وابي الحسين البصري ولهذا انكر التفتازاني في شرح المقاصد
عزو هذا المذهب اي القول بالايجاب الى امام الحرمين وعلى فرض ثبوته فقد
قرره الشمس الاصفهاني بما رده الى الاختيار اللايق بالعبد فانه بعد ان
نقل الاقوال المشهورة في المسئلة قال والحق ما ذهب اليه امام الحرمين و
ذلك لان فعل العبد ممكن وكل ممكن فهو يترجح بالواجب تعالى وتقدس على ما
قدره فيلزم وجوب فعل العبد بالله تعالى وذلك هو المطلوب وساق الكلام
الى ان قال وهذا دليل على توقف فعل العبد على مشيئة الله اذ فعل العبد يتوقف
على مشيئته ومشيئته متوقفة على مشيئة الله تعالى فان تعقلت المشيئة
به دخل في الوجود والا فلا فلا يلزم من هذا كون الافعال ايجابية انتهى وهذا كلام
مقبول والله اعلم ولا يخفى على المتامل ان بهذا المذهب ظاهرا ان مبنانا على تعدد
القدرة بالحقيقة اي على عدم التوحيد في الصفات وعلى هذا فالصحيح قول
الاشعري اذ لا تاثير لغير الله تعالى ثم وقفنا بعد هذا بنحو ثلاث سنين على طرف
من كتاب الابانة للشيخ الاشعري فرايناه ان كلا حديد على انه لم يقف الا الاستقلال
وهو قول امام الحرمين الاخير المعتمد عليه وكتاب الابانة هو المعول عليه للشيخ
الاشعري وهو اخر تصانيفه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر في التبيين و
الحافظ ابن تيمية في بعض فتاويه وسيجيء نقل ما يتضمن ايمانه بتوحيد الصفات
فالحمد لله على الوفاق حمدا كثيرا واما على القول بتوحيد الصفات كما ذهبنا اليه
وهو الحق الذي دل عليه ظواهر الكتاب والسنة والكشف الصحيح والعقل
السليم ايضا كما سيجيء بعد الايمان بالمتشابهات على علم الله تعالى فلا يبقى مجال لهذا النزاع
كما لا يخفى ونحن حملنا قول امام الحرمين على ما ذهبنا اليه بناء على حسن الظن
به وامكان تطبيقه على ما ذكرناه اما حسن الظن فقد يتقوى باختلاف اقواله
في المسئلة فحيث انتقل من شيء الى شيء فربما انتقل الى توحيد الصفات ايضا
ويويده تاييدا الله تعالى في النظامية ما نصه والذي نرتضيه رايا وندين الله

به عقيدة اتباع سلف الامة الى اخر بيانه رحمه الله وارادة الانكفاف عن التاويل والايمان
بالمتشابهات على علم الله وكلا كان مومنا بالمتشابهات على علم الله كان مومنا ضمنا
بتوحيد الصفات فانه اي توحيد الصفات من معلومات الراسخين في العلم
العالمين بتاويل المتشابهات من طريق الوهب الالهي لا النظر الفكري فليتنبه
له وبالله التوفيق وهذا اي اتباع السلف في الانكفاف عن التاويل هو المعتمد
عند الشيخ الاشعري ايضا فانه قال في الابانة الذي هو اخر تصانيفه ما نصه
قولنا الذي نقول به ودياننا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك
معتصمون وقال ان الله مستو على عرشه وان له وجها وان له يدين وان
له عينين بلا كيف الى ان قال وان الله تجلى للجبل فجعله دكا وقال وندين
بانه يقلب القلوب وان القلوب بين اصبعين من اصابعه ثم قال ونصدق
بجميع الروايات التي اثبتها اهل النقل من النزول الى سماء الدنيا وان الرب
يقول هل من سايل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافا لما قاله
اهل الزيغ والتضليل ونعوذ مما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم الى ان قال وان الله يقرب من عباده كيف يشاء كما قال ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى الى هنا كلامه
بلفظه وفيه تصريح بالايمان بجميع الواردات التي منها المتشابهات الواردة
في الكتاب والسنة على الوجه الذي يليق بجلال ذات الله وان تعويل واعتماده
عند الاختلاف على ظواهر الوارد لا على الدليل العقلي الموجب للتاويل بمجرد النظر
الفكري وهو ايمان جامع بين نفي التشبيه والتعطيل فقد اثبت التجلي في المظهر
ونفى الكيف مع قوله يقرب من عباده كيف يشاء فالحق سبحانه وتعالى منزه عن
الكيف في كل حال حتى في حال تجليه في ذي الكيف وتضمن ذلك ان القوة لله جميعا
كما هو النص وكما يقتضيه ايضا قوله تعالى ما شاء الله لا قوة الا بالله اذ من لا قوة
له الا بغيره فالقوة لذلك الغير حقيقة لا له وهو المراد بتوحيد الصفات و
بالله التوفيق ويزيده وضوحا ما ذكره الشيخ الاشعري في عاشر كتبه من قوله

معنى الكسب ان يكون الفعل بقدرة محدثة فمن وقع منه الفعل بقدرة قديمة
فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب انتهى بلفظه فيما
نقله عنه العلامة ابن القيم في شفاء العليل واطلقنا عليه بعد هذا بخوسته
وكلامه هذا يدل على ان القدرة المحدثة موثرة لانه صرح بان الفعل يقع بقدرة
محدثة ووقوع الفعل منه القدرة فرع تاثير القدرة اذ الفعل الواقع اثر والاثر
فرع التاثير والمشهور عنه في الكتب الكلامية انه لا تاثير الا لقدرة الحق فيلزمه
القول بانه لا قدرة حقيقة الا لله جمعا بين كلاميه والجمع بين المتنافيين مقدم
على ترجيح احدهما على الاخر حيثما امكن على ان كلامه في الابانة لا ينفي الا الاستقلال
لا التاثير بالاذن وبهذا اذا حقق لا يتم الا بتوحيد الصفات بالمعنى السابق لا سبيل
الى غير هذا والله اعلم وبالله التوفيق واما تطبيقه على ما ذكرناه فلجواز ان يقال ان
المراد ان القدرة المضافة الى العبد موثرة لا استقلالا بل بالاذن مع كونها مغايرة
بالاعتبار لا بالحقيقة اما الاذن فقد صرح به في النظامية واما تغاير الحقيقتين
فقد دل عليه كلامه السابق انفا وبالله التوفيق **ثم نرجع** ونقول ان الدلايل
السمعية دلت على ان الله خالق كل شيء فتشمل افعال العباد وصرح بخلقه للاعمال
بقوله والله خلقكم وما تعملون وذلك لان ما في قوله تعالى وما تعملون ان كانت
موصولة عبارة عن الاصنام كما اختاره صاحب الكشاف كان المعنى والله
خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كما صرح به صاحب الكشاف ايضا فيكون
فيكون الخلق واقعا على الاصنام كالعمل والاصنام كما اعترف به صاحب الكشاف
جواهر واشكال اي مركبة منها وظاهر ان خلق المجموع المركب انما يتحقق بخلق
جميع اجزائه فيكون صريح الكلام دالا على ان الله خالق للاصنام بجميع اجزائها
التي منها الاشكال ومعلوم ان الاشكال انما حصلت بتشكيلهم فتكون الاشكال
مخلوقة لله معمولة لهم لكون نحتهم وتشكيلهم عين خلق الله الاشكال بهم و
لا استحالة في ذلك لان العبد لا قوة له الا بالله بالنص ومن لا قوة له الا بغيره
فالقوة لذلك الغير لا له فلا قوة حقيقة الا لله وهو المعلوم انه لا فعل للعبد
الا بقوة فلا فعل له الا بالله فلا فعل حقيقة الا لله وكلما كان كذلك كان النحت

والتشكيل

فيكون المعمول عين المخلوق
بالذات وغيره
بالاعتبار

والتشكيل عين خلق الله تعالى الاشكال بهم وفيهم بالذات وغيره بالاعتبار فان ايجاد
الحق سبحانه يتعلق بذات الفعل من حيث هو وافعال العباد بالمعنى المصدري
تتعلق بالفعل بمعنى الحاصل بالمصدر من حيث كونه طاعة او معصية او مباحا
لكونهم مكلفين والله له الاطلاق والحاكم عليه ولهذا ورد الخير كله بيديك و
الشر ليس اليك لانه تجاوز عن الحد المشروع وحيث لا حد لفعله تعالى
فلا تجاوز ولا شر بالنسبة اليه مع انه خالق كل شيء فيفعل ما يشاء وهو الفعال لما يريد
ولو كان بعض افعاله على ايدي العباد المنقسمة افعالهم من حيث انها افعالهم
على محمود ومذموم شرعا وبهذا التقرير يزول الاشكال الذي استشكله صاحب
الكشاف من اجتماع الخلق والعمل على شيء واحد عند التحقيق حيث قال فان
قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم
عليها جميعا واما ما ذكره من الجواب بقوله قلت هذا كما تقول عمل النجار الباب
والكرسي وعمل الصايغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء
وصيرورتها جواهر واشكالا والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها
الذين يشكلونها بنحتهم وضد فهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه
انتهى فلا جواب عنه شافيا لانه بنى التوزيع على قاعدة الاعتزال من ان العبد
خالق لافعاله على وجه الاستقلال وحيث ان اصل مذهب الاستقلال باطل
بالعقل والنقل كان حمل الاية على التوزيع المبني على هذا المذهب فاسدا وانما
الشان ان يقرر الاية على وجه موافق للقواعد ثم يبنى عليه المذهب ولم يفعل
وليس في الكلام ما يدل على مذهبه اصلا اذ ليس في الكلام الا مجرد اسناد تعملون
الى ضمير المخاطبين ومجرد هذا لا يقتضي كونهم خالقين لاعمالهم لكان في الفاتحة
ما يقطع النزاع قبل البقرة فضلا عن الصافات واللازم باطل لان مجرد الاسناد
لا يقتضي الا ان الفعل له نسبة الى العبد واما ان نسبته بالاستقلال فلا دلالة
لمجرد الاسناد اصلا واذا لم يكن مجرد الاسناد دليلا احتاج الى دليل اخر ولم يات
بشيء الا مجرد دعوى ولا حاجة الى نقل بقية كلام المتعلقة بردكون ما مصدرية
وابطالها بعد التنبيه على ان الاية دالة على ان الله خالق لاعمال العباد بهم على

تقدير كون ما هو صولة عبارة عن الاصنام على ما هو مختاره وان حملها على التوزيع
المذكور فاسد لكونه مبنيا على اصله الفاسد فان اراد الاحتجاج بالاية على مذهبه
بناء على التوزيع المذكور كان دعوى بلا بينة على المطلوب وان لم يرد الاحتجاج
كان دعوى بلا بينة على بطلانها حتى في نفس الاية لما بينا منه دلالتها على
ايجاد الخلق والعمل بالذات وتغايرهما بالاعتبار من غير لزوم استحالة وبالله
التوفيق وللذكر هنا رد ما استدل به المعتزلة على مذهبهم من دعوى استقلال
العبد بخلق افعاله على وجه الايجاب بطرز جديد موافق للكتاب والسنة فنقول
وبالله التوفيق قالوا جميع ما استدل به المعتزلة من الوجوه على مذهبهم مرجعها
الى امر واحد وهو انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل التكليف بالاوامر و
النواهي وبطل التاديب وارتفع المدح والذم والثواب والعقاب ولم يبق
للبعثة فايدة انتهى والجواب انا لا نسلم ان التكليف يتوقف على استقلال
العبد بايجاد فعله لما يجوز ان يكتفي في ذلك ان يكون العبد قادرا على الفعل المكلف
به لا على وجه الاستقلال بل باذن الله ومشيئته وهذا الجايز هو الواقع كما يوضحه
قوله تعالى كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ببيان ذلك
ان الله تعالى انزل القرآن تذكرة وكلفهم بالتذكر وعلقه على مشيئتهم ثم لم يتركهم
كذلك لينوهم الاستقلال بل قال متصلا به وما يذكرون الا ان يشاء الله تعلقه
على مشيئة تعالى نبيا وكلما كان تذكرهم المكلف به الواجب عليهم المعلق على
مشيئتهم معلقا على مشيئة الحق تعالى لم يكونوا مستقلين بالتذكر بالضرورة
مع ان اصل القدرة لا بد منه للتكليف بالاتفاق فظهر ان شرط التكليف انما هو
القادرية في الجملة لا القادرية على وجه الاستقلال وهو المطلوب فانا نقول
ان قدرة العبد تؤثر في فعله لكن باذن الله وتمكينه ومشيئته لا بالاستقلال
والدليل قايم معنا واذا صح التكليف لغير المستقل المؤثر قدرته بالاذن ظهر وجه
التاديب والمدح والذم والثواب والعقاب لترتبها على صحة التكليف المتوقف
على تاثير القدرة في الجملة لا بالاستقلال وانه متحقق لان الاستثناء من النفي
اثبات على الصحيح فيذكرون اذا شاء الله وظهر فايدة البعثة ايضا لانها يقع

بها التذكر ي وان التذكر ي تنفع المؤمنين وتقوم بها الحجة على الآخرين فانها تحرك
دواعي العبد للفعل والترك فيترتب عليها تعلق المشيئة والتمكين على وفق ما
سبق به العلم التابع للمعلوم المتنازع للحجة البالغة المذكورة في قوله تعالى قل
فلله الحجة البالغة فلو شاء لهدىكم اجمعين ولكنه لم يشأ اذ لم يسبق به العلم
اذ لم يتعلق العلم بالمعلوم الا على ما هو عليه المعلوم في نفسه ومعلومات
الله باستعداداتها الاصلية ازلية غير مجعولة فامعن فيه النظر راشدا مهديا
بتوفيق الله والحمد لله رب العالمين ثم نرجع ونقول ان الله سبحانه مع
تصريحه بانه خالق كل شيء وخالق اعمال العباد نسب الاعمال الى العباد حتى في اية
خلقه للاعمال فليس وجه نسبة الافعال الى العباد انهم خالقون لها استقلالا
فان الله قد نص على انه الخالق لما هم عاملوه من الاعمال وكلما كان كذلك فلا استقلال
والجبر المحض باطل بالضرورة لحصول الفرق الضروري بين حركتي الصاعد والساقط
عن علو فلا بد ان يكون ثمة نسبة غير الخلق الاستقلالي كما هو غير الجبر المحض
واقلها ان يكون العبد محلا لظهور الفعل عند تعلق ارادته به وهو الكسب في المشهور
الذي ذهب اليه الاشعري فان حقيقة الكسب عنده في المشهور هو تعلق ارادة العبد
بفعل ما دون غيره فيوجده الله اقتدار الالهي بنفسه عند ذلك التعلق فيسمى ذلك
كسبا والتحقيق ان مذهب الاشعري على ما يستفاد من الابانة الذي هو المعول
عليه بل ومن كلامه في عامة كتبه كما مر نقله هو ان حقيقة الكسب تحصيل العبد بقدرته
المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئة الموافقة لمشيئة الله وعلى هذا فوجه نسبة
الافعال الى العباد التي هي غير الاستقلال والجبر هو كونهم فاعلين لها بتاثير قدرتهم التي
هي وجه من وجوه قدرة الحق تعالى وتعين منه تعيناتها الظاهرة فيهم بكسبهم باذن
الله وتمكينه ومشيئته لا على الاستقلال فانه الحد الوسط بين طرفي الافراط والتفريط
بواضح الاعتدال والمحقق لاثبات الكسب بالاذن مع توحيد الافعال والحمد لله المنعم
المتعال وعلى هذا فالمواضع ان يقال في حد الكسب في المشهور هو تعلق ارادة العبد
بفعل ما دون غيره فيوجده وجه من الاقتدار الالهي المفاض على العبد عند ذلك التعلق
باذن الله والمراد في التعريفين على هذا واحد لان القدرة واحدة بالذات مختلفة بالنسب

والاعتبارات وقد مر وجه صحة ان يقال انها مؤثرة من حيث انها مضافة للعبد
بالاذن الالهي لعدم خروج ذلك عن القول بتوحيد الافعال والدليل على ذلك من
السمعيات ايات واخبار **فمن الايات** قوله تعالى في سورة الاعراف قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله والاستثناء من النفي اثبات فيفيد انه يملك
لنفسه النفع والضر اذا شاء الله وهو معنى التاثير باذن الله ومشيئته وذلك لان
فعل الممكنات وترك الممتنعات من النفع للنفس وان فعل الممتنعات وترك الممكنات
من الضر لها فاذا دلت الاية على ان العبد يملك ذلك اذا شاء الله فقد دلت على
ان لقدرته تاثيرا فيما يصدر عنه من الفعل والترك باذن الله تحقيقا لمعنى الاكتساب
بالاذن وهو المطلوب وبهذا من اوضح الدلايل على هذا المذهب وبزيده وضوحا
ما اخرجه الحافظ ابو نعيم في الحلية عن الامام محمد بن ادريس الشافعي عن يحيى بن
سليم عن جعفر بن محمد عن ابيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن ابي طالب انه
خطب الناس يوما وساق الكلام الى ان قال فقام اليه رجل ممن كان شهد
معه الجمل فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه قال
يا امير المومنين اخبرنا عن القدر قال اما اذا ابيت فاني امرين لا
جبر ولا تفويض قال يا امير المومنين ان خلقا يقول بالاستطاعة وهو ما فرت
قال علي ابدا فاقاموه فلما رآه سل عليه سيفه قدر اربع اصابع فقال الاستطاعة
تملكها مع الله او من دون الله فامسك ان تقول احدهما فترتد فاضرب عنقك
قال فما اقول يا امير المومنين قال قل املكها بالله الذي ان شاء ملكنيها انتهى وهو
نص صريح في هذا الباب بلا خفاء عند المنصف والارتياب وفيه رد لقول من قال
بالاستقلال او قال بتاثير مجموع القدرتين كما يظهر لمن التفت الى ذلك اللهم الا ان
يبنى القول بتاثير القدرتين على توحد الصفات فتكون القدرتان متغايرتين بالاعتبار
والصورة لا بالذات والحقيقة فيرجع الى ما قررناه اي انه يملكها بالله لا معه ولا من دونه
فليتنبه لهم والله اعلم **ومنها** قوله تعالى واخلق من الطين كهيئة الطير باذني
فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني وان تخرج الموتى باذني
الاية فانها مسوقة لتعداد النعم عليه وفي معرض الامتنان ومقتضى ذلك ان يكون

فقال امير المومنين اخبرنا عن القدر

المراد ان هذه الافعال صادرة من القدرة من حيث انها مضافة لسيدنا عيسى عليه
الصلاة والسلام باذن الله وتمكينه لا بالاستقلال كما لا يخفى على العارف باساليب
الكلام **ومنها** قوله تعالى في سورة يونس قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما
شاء الله والاستثناء من النفي اثبات فيفيد انه يملك لنفسه ذلك بمشيئة الله
وما يناسب ذلك ما اورده الشيخ ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة عن المحب
الطبري وغيره في وجه الجمع بين الاحاديث الدالة على عظيم نفعه صلى الله عليه
وسلم لاقاربه وبين الاحاديث الدالة على انه لا يملك لهم من الله شيئا ما نصه
ووجه عدم المنافاة كما قال المحب الطبري وغيره من انه صلى الله عليه وسلم لا يملك
لاحد شيئا لا نفعا ولا ضرا لكن الله عز وجل يملكه نفع اقاربه بل وجميع امته بالشفاعة
العامة والخاصة فهو لا يملك الا ما ملكه مولاه كما اشار اليه بقوله غير ان لكم رحما
سابلها ببلالها وكذا معنى قوله لا اغني عنكم من الله شيئا اي بمجرد نفسي من غير
ما يكرمني الله به الخ انتهى **ومنها** قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
وقوله وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وقوله تعالى يومئذ لا
تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقوله يوم يقوم الروح
والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا الى غير ذلك فان
الاستثناء من النفي اثبات فيفيد اثبات الشفاعة والاتيان بالاية باذن
والتمكين لا بالاستقلال وهو المطلوب **ومنها** قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله الاية فان الاستثناء من النفي اثبات والقوة
هي منشا التاثير فاذا ثبت لاحد القوة بالله ثبت له ان فعله المنسوب اليه انما
هو بقدرته الموثرة باذن الله وذلك لان العبد له فعل شرعا ولا حمل له الا بقوته
بالضرورة ولا قوة الا بالله فلا فعل له الا بالله وقد مر ان ما كان بالله فهو لله لان ما
بالغير فهو لذلك الغير والقوة التي لله موثرة بمشيئة الله اتفاقا فقوة العبد
لكونها بالله موثرة باذن الله فيما تعلقت به مشيئة الموافقة لمشيئة الله **ومنها**
قوله ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وعادل عليه الاستثناء
هنا صريح به في النحل بقوله انما سلطانه على الذين يتولونه والاية الى غير ذلك من الايات

ومنها قوله تعالى ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء الا باذن الله وقوله تعالى ما

واما الاخبار فمنها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انك سالتنا منه انفسنا
مالا نملك الا بك فاعطنا منها ما يرضيك عنا اخرجه الديلمي عن انس وابن عساكر
عن ابي هريرة وزاد اللهم قبل فاعطنا قال في السراج المنير وهو حديث صحيح
انتهى وهو شاهد لحديث انس عند الديلمي وحديث جابر عنده وعند الطبراني
الاتي بل يشهد للكل اية قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله فالكل صحيح
اما لنفسه او لغيره والله اعلم والاستثناء منه النفع اثبات قدر ما انا نملك
بالله منه انفسنا ما شاء الله ان نملك وحيث ان ذلك يعم ما يرضي وخلافه قال
صلى الله عليه وسلم فاعطنا ما يرضيك عنا فقيده بما يرضي طلبا لخاصة الخير واذا
ايضا منه اوضح الدلايل على هذا القول ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم في غير ما حديث والاستثناء منه النفع اثبات فافاد ثبوت القوة
بالله وهي القدرة المؤثرة باذنه تعالى كما مر تقريره ويوضحه قول علي رضي الله عنه في
جواب السايل عن القدر ايها السايل تقول لا حول ولا قوة الا بمن قال الا بالله العلي
العظيم قال فتعلم ما في تفسيرها قال تعلمني مما علمك الله يا امير المومنين قال
ان تفسيرها لا تقدر على طاعة الله ولا يكون لك قوة في معصية الله في الامرين
جميعا الا بالله اخرجه ابن عساكر منه حديث الحارث قال جاء رجل الى علي قال يا
امير المومنين فساق حديثا منه ما ذكر ويشهد له قوله تعالى ما شاء الله لا قوة الا
بالله ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انك سالتني من نفسي ما لا املك
الا بك فاعطني منها ما يرضيك منها الحديث اخرجه الطبراني في الدعا والديلمي عن
جابر وقد مر بيانه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم خطابا لابن عباس رضي الله
عنهما واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد
كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله
عليك اخرجه الامام احمد والحاكم والترمذي منه حديث ابن عباس والاستثنا
منه النفع اثبات فقد افاد اثبات النفع والضر باذن الله ومنه ذلك قول
ابي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته بعد استخلافهم اياه لقد قلدت امرا
عظيما ما لي به طاقة ولا يد الا بتقوية الله الاثر اخرجه موسى بن عقبة في مغازيه

والحاكم

والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ومنه ذلك ما اخرج عبد بن حميد عن
قتادة في قوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الى قوله المهتدون
قال من استطاع ان يستوجب ثلاثا في مصيبة ثلاثا الصلاة والرحمة والهدى فليفعل
ولا قوة الا بالله فانه من استوجب على الله حقا يجن احقه الله له ووجد الله وفيا
ومنه ذلك قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته ثم اعلموا عباد الله انكم لتغدون
وتروحون في اجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضي الاجال وانتم في
عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك الا بالله الى اخر خطبته رضي الله عنه اخرجه ابن
ابي شيبة وهناد وابو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عكيم قال خطبنا
ابو بكر فقال اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله وساق الكلام الى ان ذكر ما مر وغيره
ومنه ذلك ما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس
قال ما اصاب داود ما اصابه بعد القدر الا من عجب عجب بنفسه وذلك انه
قال يا رب ما من ساعة من ليل ولا نهار الا وعابد من آل داود يعبدك يصلي لك
او يسبح او يكبر وذكر اشياء فكره الله ذلك فقال يا داود ان ذلك لم يكن الا بي
فلولا عوني ما قويت عليه الحديث ومنه ذلك ما اخرجه احمد في الزهد وابن
ابي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس ان الشيطان عرج الى السماء فقال
يا رب سلطني على ايوب قال الله تعالى قد سلطتك على ماله وولده ولم اسلطك
على جسده الى ان قال فرن ابليس رنة سمعها اهل السماء واهل الارض ثم عرج
الى السماء فقال اي رب انك قد اعتصم فسلطني عليه فاني لا استطيعه الا بسلطانك
قال قد سلطتك على جسده ولم اسلطك على قلبه الحديث بطوله الى غير ذلك من
الاحاديث والاثار وصب عنانك ايها الناظر في هذا الكلام لا تظني منه
قولنا ان القدرة واحدة بالذات متعددة بالنسب والاعتبارات وكذلك بقية
الصفات ان ذلك قول بالحلول او الاتحاد فان الامر ليس كذلك فان الحلول غير
الحلول وغير الاتحاد والمردود في علم الكلام وابعد الناس من القول بالحلول
والاتحاد هم هؤلاء المحققون من اهل هذا الطريق الشريف الموحدون ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لان جميع كلامهم على توحيد الوجود واكثر الناس لا يعلمونه

علما محققا لانه من العلوم الوهبية لا من علوم الفكر فلا ينال بمجرد النظر الفكري وضرب
الامثال انما هو للتقريب والتوضيح لانها منطبقة على الممثل له من كل وجه فاذا اوضحنا
قولنا ان الحكم للمواطن قديما وحديثا مثلا بقولنا لون الماء لون انائه فليس المقصود
ان ثمة حلولا مثل حلول الماء في الاناء وانما المقصود ان الحقايق الكلية كالقدرة
مثلا تختلف احكامها وظهوراتها في المظاهر على حسب المواطن والظهور ليس بالحلول
والتمثيل بالناظر في المرايا المتعددة المختلفة الاشكال والالوان مما يقرب ذلك الى
الاذهان فان الناظر واحد بالذات ويتعدد على عدد المرائي ويختلف لونه
وشكله على حسب اختلافها فيرى نفسه خارج المرائي ولا يشك انه هو
ويرى صورته فيها بحسبها ولا يشك انها صورته المتجلية فيها بحسبها ثم انه
ليس فيها كما يظهر مما اذا اشار باصبعه الى نحو المراة من مسافة ذراع مثلا
ومد يده فالصورة التي في المراة كذلك تشير بالاصبع وتمد يدها من نحو تلك المسافة اليها ح
مع ان سمك المراة لا يبعد مقدار اصبع فضلا عن ذراع فظهر انها ليست حالة
في المراة وهي لا تكون الا فيها فدل على ذلك ان الظهور غير الحلول لمن تفطن للامر
واذا كانت هذه الصورة المتجلية في المراة مع كونها محسوسة ومن الممكنات يتحير في
شانها العاقل حيث يراها في المراة وليست حالة فيها ولا يراها خارجة عنها ولا منفصلة
ولا متصلة فكيف يطمع ان يحيط بنظره الفكري بما ليس بمحسوس ولا من
جنس الممكنات واذا لم يتم له الاحاطة بعلم ذلك فليس من العقل والانصاف
ان يحكم على مسلم بانه قايل بالحلول مثلا بمجرد ان بعض العبارات او بعض الامثال
المضروبة يوهم ذلك ولا يغرن الناظر ان يرى في كلام بعض اهل الطريق ان من
قال انه باق ببقاء الله او عالم بعلم الله او حي بحيوة الله وقع فيما هو اشنع من
قول الحلولية فانا لا نقول بقيام القديم من حيث هو قديم بالحادث من حيث هو حادث
وانما نقول ان الحقايق الكلية تختلف احكامها باختلاف المواطن والمظاهر فان حقيقة
كل صفة من صفات الكمال واحدة وتختلف احكامها قد ما وحدوثا باختلاف المظاهر
واين هذا من القول بقيام القديم بالحادث لمن نظر بعين الانصاف مستبصرا وبالله
التوفيق قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك

كان عنه مسئولا وقال تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون فعلى العاقل ان يسلك
طريق الانصاف ويتذكر ان فوق كل ذي علم عليم فيتجنب من الاعتساف فيتيقظ
في الكلام لظاهرها التقيد بالرسوم المتعارفة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من
عنده ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم اللهم ارنا سبيل السلام
ونجنا من الظلمات الى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن اللهم بارك
لنا في اسماعنا وابصارنا وقلوبنا واجعلنا شاكرين لنعمتك واتمها علينا آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين قال
شيخنا المولف حفظه الله تمت ليلة السبت ٩ من رجب ١٠٦٥ انتهى

وتمت هذه النسخة ضحى نهار يوم الجمعة اجمع الله علوما في صدور كاتبها
ويوم الرابع من شهر العدد ١٠٦٥ على يد مسيئها عارض الله عنه
بظاهر المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة
والسلام

الحمد لله وكم على نبيه وشفيعنا
نور من نور الله مس الله عليه وكم

ذيل لتتمه للمسئله المهمه

تحرر شيخنا حفظه الله تعالى عبد الله ابراهيم
ابن حسن الكردي الكوراني الشهرزوري
الشهرالي ثم المدني كان الله له
عنه في حاله ومابعده
آمين آمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المبدئ المعيد • الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد • وصلى الله على سيدنا محمد الهادي
الى مراتب التوحيد • وعلى اله وصحبه اولى القول السديد والرأى الرشيد • **اما**
بعد فيا ايها الولى المجيد • والموحد الوحيد • الغريب في اوانه • ولو في
اهله واوطانه • فان طلب الحق غربة بنص سيد الانبياء فطالب الحق غريب
بلا شبهة وطوبى للغربا وفقني الله واياك والمحبين • توفيق عباده الصالحين
ورزقنا الله العافية وادامها لنا وجمع قلوبنا على التقوى انه البر الرحيم المنان
الكريم قد ورد في ضمن مكتوبكم الشريف ما حاصله ان ما ذكرنا في العجالة من دعوى
انطباق القول بتاثير القدرة لا على الاستقلال بل باذن الله على قول الشيخ الاشعري
رحمه الله تعالى تحتاج الى دليل نعم هو كذلك ولكنا ما ادعينا في العجالة التي
ترجمها شيخنا ابقاه الله في عافيته واعاد علينا من بركاته بالمتمة للمسئلة المهمة
الا ان هذا القول لا يخالف قول الاشعري في انه لا تاثير لغير قدرة الحق مع التصريح
بان بينهما فرقا وهو ان الاشعري لا يظهر من كلام الناقلين لمذهبه انه قايل
بتوحيد الصفات كما انه قايل بتوحيد الافعال ونحن قد بينا دعوى الانطباق
على دعوى توحيد الصفات وقد رقمنا في العجالة على دعوى توحيد الصفات
الدليل العقلي المويد بالنقل منه الكتاب والسنة على وجه مسلم عند كل عالم منصف
فان جميع العقلاء متفقون على ان الحق سبحانه وتعالى واجب الوجود وهو يستلزم
تفرده بالكمال بالذات وان كل كمال لغيره فهو مستفاد منه تعالى كما قررناه في العجالة
غاية الامر انا نبهنا على بعض مواضع اخذ هذا الاصل من نصوص الكتاب تاييدا
للعقل بالنقل لانه لا دليل عليه الا تلك النصوص ولا شك ان توحيد الصفات يتضمن
ان لا قدرة الا لله ومن المعلوم انه لا تاثير الا بالقدرة فاذا ثبت انه لا قدرة الا
لله ثبت انه لا تاثير الا لله وهذا اى القول بانه لا تاثير الا لقدرة الله عين قول الاشعري
فقد ظهر الانطباق والحمد لله الملك الخلاق **ومما يدل** على توحيد الصفات مفصلا
قوله تعالى هو الحي فان تعريف الخبر من طرق القصر وقوله وهو العليم القدير و
قوله تعالى ان ربك هو القوي العزيز وقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء

وهو القوي العزيز وقوله تعالى ان القوة لله جميعا فان تعريف المبتدا الضا كذلك
وقوله تعالى وهو السميع البصير وفي الحديث القدسي يا ابن ادم بمشيتي كنت انت
تشاء لنفسك ما تشاء وبارادتي كنت انت الذي تريد لنفسك ما تريد الحديث
اخرجه ابو نعيم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وعليه ظاهر قوله تعالى وما تشاؤن
الا ان يشاء الله اى الا بمشيئة الله الظاهرة عليكم بحسبكم بقرينة قوله تشاؤن
وحذف الجار منه ان وان مقيس واما ما في تفسير البيضاوي من تقدير المضاف
اى الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فلا ينافي ما ذكرناه عند التامل فان وقت
ان يشاء الله مشيئتهم عين وقت اظهار مشيئة فيهم ووقت اظهار المشيئة
فيهم عين وقت تجلي الحق فيهم من اسمه الشائي المريد وهو عين وقت ظهور
مشيئة الحق فيهم بحسبهم فالمال واحد وان اختلف الطريق ونحن انما قلنا
في العجالة لا يظهر من كلام الناقلين لمذهب الاشعري انه قايل بتوحيد الصفات
لاني لم اقف اذ ذاك على نقل منه يدل على ذلك ولكن لله تعالى الحمد على نعمه
كلها وعلى اتمام النعمة باكمال المتمة اوقفني في هذا العام على كتاب شفاء العليل
في مسايل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للعلامة شمس الدين محمد بن ابي بكر
الدمشقي المعروف بابن القيم الحنبلي رحمه الله تعالى فاذا فيه نقل عن الاشعري
دال على انه قايل بتاثير القدرة الحادثة ومن المعلوم انه اذا ثبت ذلك منه مع
ما هو المشهور منه قوله بانه لا موثر في الوجود الا الله ثبت انه قايل بتوحيد الصفات
بلا شبهة فلنذكر ما نقله عنه في شفاء العليل ليتم التوفيق ويكمل التطبيق بحول
الله وقوته الله الذي بيده ملكوت التحقيق فنقول قال في شفاء العليل قال
الاشعري في عامة كتبه معنى الكسب ان يكون الفعل بقدرة محدثة فمن وقع منه الفعل
بقدرة قديمة فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب انتهى
ولا يخفى على المتامل المنصف ان هذا النص من الاشعري يدل على ان الفعل الواقع بقدرة
محدثة وانه المسمى كسبا عنده ومن المعلوم ان الوقوع فرع تاثير القدرة المحدثة
اذ لا وقوع الا بتاثير بالضرورة غاية الامر انه لم يطلق على العبد انه خالق بل
مكتسب وهو رعاية للادب في امر لفظي مع ايهام خلاف المقصود وانه بحث اخر

وهو كما قال امام الحرمين في كتابه المترجم بالنظامية بعد بسط وتفصيل
في تقرير ان القدرة الحادثة موثرة باذن الله لا استقلالا ما نصه واذا لزم
المصير الى ان القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها واستحال اطلاق القول
بان العبد خالق اعماله فان فيه الخروج عما درج عليه سلف الامة واقتحام
ورطات الضلال الخ انتهى فانه مع تصريحه بان القدرة موثرة منع اطلاق
اذ باسم السلف وصرح عنه ايهام الاستقلال وهذا الذي ذكره امام الحرمين
في النظامية اخر قوليه الذي اعتمد عليه وقال في اخر تقريره فهذا والله
الحق الذي لا غطاء دونه ولا مراء فيه لمن وعاه حق وعيه انتهى وهو
كلام طويل نقله عنه في شفاء العليل بلفظه وقوله فقد ثبت بهذا النص
من الاشعري انه قايل بان القدرة الحادثة موثرة والمشهور عنه في الكتب
الكلامية انه قايل بانه لا تاثير الا لقدرة الله فهو قايل بانه لا قدرة الا لله و
كلما كان كذلك فلا استطاعة مع الله ولا من دون الله بل بالله كما قال تعالى
شاء الله لا قوة الا بالله وذلك لانه في توحيد الافعال لانه لا تاثير الا بقدرة
ولا قدرة الا بالذات الا لله فلا تاثير الا لله فلا فاعل في الوجود حقيقة الا
الله وانما ظهرت الاعمال من العباد صورة وحسابا باذن الله اذا شاء الله فتلخص
من هذا ان الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته ما تعلقت
به مشيئة وقت تعلق مشيئة الله لا على الاستقلال بل باذن الله
وتمكينه ويوضحه ان مذهب الاشعري هو التوسط بين الجبر والتفويض
الذي هو الحق والمسلك الواضح للاثبات التوسط عند المنصف هو
هذا المسلك اعني التاثير بالاذن ونفي الاستقلال لا ما هو المشهور منه
مجرد تعلق القدرة بالفعل ومقارنته من غير تاثير فانه لا يتضح به التوسط
اتضاحا شافيا وان بولغ في تقريره وتحريره ومع هذا فالدليل الذي
استدلوا به على ان القدرة الحادثة غير موثرة اصلا كما هو مذكور
في المواقف وغيره انما يلزم منه ان القدرة الحادثة ليست موثرة استقلالا
اي ليست موثرة على وفق مشيئة العبد شاء الله او لم يشاء

فان التمانع المستلزم للمحالات الذي يدعون لزومه منه الدليل المذكور
انما يلزم على تقدير الاستقلال واما اذا كان القدرة المحدثة موثرة
باذن الله لا على الاستقلال فلا تمانع ثم اصلا حتى يترتب عليه المحالات
التي ذكروها فالدليل المذكور لا يلزم منه الا بطلان قول المعتزلة القايلين
بالاستقلال واما بطلان مطلق التاثير ولو بالاذن فكلا كما يظهر عند
التامل فيه وسياقه كما في المواقف لو كان فعل العبد بقدرته وتاثيرها فيه
وانه واقع بقدرة الله تعالى كما سنبرهن على انه تعالى قادر على جميع الممكنات
فلو اراد الله شيئا واراد العبد ضده لزم اما وقوعهما معا او عدمهما
معا او كون احدهما غير قادر على فرض قدرته عليه وتاثيره فيه اي و
اللوازم كلها محالات انتهى وانما قلنا ان هذه المحالات انما تلزم على
تقدير الاستقلال لان العبد لعدم استقلاله اذا شاء عالما بشاء الله لم
يقع ولا يلزم شيء من المحالات المذكورة اما الاولان فظاهر واما الثالث
فلانا لم نفرض العبد مستقلا وقادرا على عالم بشاء الله حتى يلزم خلاف
المفروض بل قلنا انه غير مستقل وكلما كان كذلك فلا قوة له الا بالله ولا
يشاء الا ان يشاء الله فلا يقع منه شيء الا ما شاء الله وعلى هذا فلا محال لازما
اصلا وبالله التوفيق **فان قلت** فمن اين اطبق جمهور المتاخرين
على ان الاشعري لا يقول بتاثير القدرة الحادثة اصلا مع وجود هذا
النص منه في عامة كتبه **قلت** قد نقل في شفاء العليل قولا اخر
عن الاشعري يعطي بظاهره انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره كما لا
تاثير للعلم في معلومه وهو ما قال في شفاء العليل قال الاشعري وابن
الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا
او محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى ولكن لا يخفى
على المتامل المنصف ان هذا ليس نصا في عدم التاثير فان اوله يدل على
التاثير لانه جعله الله واخره يعطي انه لا تاثير وكما جاز تاويل اول الكلام بقرينة
اخره جاز تاويل اخره بقرينة اوله بل هذا اولى بقرينة نص الاش المذكور

في عامة كتبه الدال دلالة قاطعة على التاثير اللهم الا ان يكون الاشعري
قد نص في محل اخر على عدم التاثير ثم صرح بانه قد رجعت عما في عامة
كتبه من القول بالتاثير اي بالاذن لا استقلالا فحينئذ لا مجال للتاويل و
في شفاء العليل ما يدل على ان الذي استقر عليه راي الاشعري عدم التاثير
للقدرة الحادثة اصلا لكن في كلام الامام فخر الدين الرازي ما يدل على ان
الاشعري قايل بالتاثير فانه بعد ما قرر ان للقدرة معنيين احدهما مجرد
القوة التي هي مبدء الافعال المختلفة و الثاني القوة المستجمعة لشرايط
التاثير وان الاولى قبل الفعل و تتعلق بالضدين و الثانية مع الفعل و لا
تتعلق بالضدين قال و لعل الشيخ الاشعري اراد بالقدرة القوة المستجمعة
لشرايط التاثير فلذلك حكم بانها مع الفعل و انها لا تتعلق بالضدين
و المعتزلة اراد وا بالقدرة مجرد القوة العضلية فلذلك قالوا بوجودها
قبل الفعل و تعلقها بالامرين المتضادة فهذا وجه الجمع بين المذهبين
انتهى ملخصا و الشاهد في قوله و لعل الشيخ الاشعري الخ فان فيه دلالة
على ان التاثير امر مسلم الثبوت عند الاشعري و انما الترجي في حمل قوله
القدرة مع الفعل لا قبله و قوله انها لا تتعلق بالضدين على هذا المعنى الذي
للقدرة لانه اصل التاثير كما لا يخفى على المتامل و الاعتراض عليه بان القدرة
الحادثة ليست موثرة عند الشيخ فكيف يصح ان يقال انه اراد بالقدرة القوة
المستجمعة لشرايط التاثير مدفوع بان المثبت مقدم على النافي على انه
قد مر نص الاشعري الدال على التاثير المصحح لهذا التوجيه و الجمع من الامام
اللهم الا ان يكون الاشعري رجع عنه فلا مجال لهذا الجمع و اما اذا لم يكن
الاشعري صرح بانه رجع عنه القول المذكور في عامة كتبه الدال على التاثير
و انما نص على ان القدرة الحادثة لا تاثير لها اصلا ينبغي ان يحمل على ان المراد
لا تاثير لها استقلالا جمعا بينه و بين نصه الدال على ان لها تاثيرا و محافظة على
ما دل عليه نصوص الكتاب و الاخبار و الاثار المناسب لطريقة الاشعري
فانه لا يتجاوز عما دل عليه الظواهر الا لضرورة و لا ضرورة ههنا الى العدول عنها

فهو لحقيق بان يكون مذهب الاشعري و اللايق بان يحمل عليه كلامه و قد قال
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك
منه ما يغلبك و لا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا و انت تجد لها في الخير
محملا فالاشعري ان رجع عنه القول الاول فقد جاءنا ما يغلبنا فلا مجال
للتاويل و ان لم يصرح بالرجوع عنه فلم يجيئنا ما يغلبنا للورود الامرين
عنه و امكان الجمع بالتاويل و قد مر فيما الخفناه بالمتممة انا قد وقفنا
بعده بنحو ثلاث سنين على ظرف من كتاب الابانة الذي عليه المعول في المعتقد
للشيخ الاشعري و انه اخر مولفاته كما صرح به الحافظ ابن تيمية الحنبلي و
فيه ما يدل على انه لم ينكر على المعتزلة الا القول بالاستقلال و اما التاثير بالاذن
فلا يوجد له فيه انكار فالحمد لله على الوفاق و ذلك انه قال ما نصه و زعموا
اي المعتزلة و المكذبون بالقدر انهم يملكون الضر و النفع لانفسهم ردا
لقول الله قل لا املك لنفسي ضرا و لا نفعا الا ما شاء الله و انحرافا عن القرآن
و عما اجمع عليه المسلمون عليه و زعموا انهم ينفردون بالقدرة على اعمالهم
دون ربهم و اثبتوا لانفسهم غنى عن الله عز و جل و وصفوا انفسهم
بالقدرة على عالم يصفوا الله بالقدرة عليه الى هنا كلامه رحمه الله بلفظه و هو
واضح الدلالة على ان انكاره مقصور على الاستقلال المستلزم للغنى عن
الله و الغنى عن الله باطل بالعقل و النقل لا يتعداه الى انكار اصل التاثير بالاذن
كما يوضحه الاية التي استشهد بها عليهم فان الاستثناء من النفي اثبات
فالعبد يملك الضر و النفع بمشيئة الله و اتيان المامورات و الاجتناب
عن المنهيات داخل في النفع و ضد ذلك داخل في الضر كما هو ظاهر عند من
تامل فانصف و بالله التوفيق يوضح ان الكمال عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي
قال في نهاية السول ان امام الحرمين و غيره صرحوا بان الاشعري لم ينص
على جواز تكليف ما لا يطاق و انما اخذ من قاعدتين احديهما ان القدرة
مع الفعل و الثانية ان التكليف قبل الفعل فعلمنا ان ما ذكره البيضاوي
في منهاجه من ان التكليف يتوجه عند المباشرة بعكس مذهب الاشعري انتهى و يوضحه

ان الاشعري قال في كتابه الابانة الذي هو آخر مصنفاته والمعول عليه
في المعتقد ما نصه وحتنا في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم فقال ما آتاكم الرسول فخذوه الاية وقال فليحذر الذين يخالفون
عن امره وقال انما كان قول المؤمنين الى قوله ان يقولوا سمعنا واطعنا
فامرهم ان يسمعوا ويطيعوا امره انتهى بلفظه فصرح بانهم مامورون
بان يطيعوا امره وهو تصريح بان الامر واقع قبل الاطاعة وهو معنى
ان التكليف قبل الفعل وقد دل النص على ان الله لا يكلف نفسا الا وسعها
فالقدرة بمعنى الوسع والتمكن من الفعل التي تصير مؤثرة باذن الله عند
انضمام الارادة الموافقة لارادة الله متحققة قبل الفعل عند الاشعري
وانما القدرة التي قال انها مع الفعل هي المستجمعة لشرايط التاثير
التي منها انضمام مشيئة العبد التابعة لمشيئة الله تعالى كما يوضحه قوله
في الابانة وان احدا لا يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله الله انتهى
ومفهومه ان العبد يستطيع ان يفعل شيئا حين يفعله الله تعالى وهو
معنى ان القدرة المستجمعة لشرايط التاثير مع الفعل اذ بها الايقاع
من العبد باذن الله عند ايقاع الله تعالى اياه بالعبد فيكون القدرة الموجودة
قبل الفعل وحين التكليف هي التمكن من الفعل بلا تاثير لعدم استجماع
الشرايط كما صرح به صاحب مناهج العقول نقلا عنه الفاضل المراغي
شارح منهاج الاصول ان شرط التكليف القوة التي تصير مؤثرة عند
انضمام الارادة وهي موجودة قبل الفعل واما المقارنة للفعل فهي
المؤثرة المستجمعة لشرايط التاثير وليست شرطا للتكليف
انتهى ويزيد تاييدا ما في نهاية السول ان الامام لما قرر في المحصول
جواز التكليف بما لا يطاق استدل عليه بوجوه منها ان التكليف قبل الفعل
بدليل تكليف الكافر بالايمان والقدرة غير موجودة قبل الفعل وذلك
تكليف بما لا يطاق وذكر نحوه في المنتخب انتهى فتلخص ان الصحيح
ان مذهب الاشعري ان التكليف قبل الفعل وشرط القوة التي

تصير

تصير مؤثرة عند انضمام الارادة وارتفاع الموانع وهي موجودة قبل الفعل
بلا تاثير لعدم استجماع الشرايط وهو معنى قوله في الابانة وان احدا
لا يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله الله وان القوة التي مع الفعل
هي المؤثرة لاستجماعها الشرايط لما اقتضاه كلامه في الابانة ان العبد
يستطيع ان يفعل شيئا باذن الله حين فعل الله اياه بالعبد وباذن التوفيق
وعلى هذا فلا يصح اخذ تكليف ما لا يطاق من القاعدتين المذكورتين في قول
الاشعري اعني قوله ان القدرة مع الفعل وقوله ان التكليف واقع
قبل المباشرة بايقاع الفعل عند المباشرة ولا استحالة في ذلك لان التمكن
من الفعل عند المباشرة متحقق عنده قبل المباشرة كما تبين انما
المحال ايقاع الفعل قبل زمان المباشرة ولم يقع به التكليف واما ان
الله تعالى كلف المتلبس بالايمان ولم يؤمن الكثير منهم لعلمه تعالى بعدم وقوعه
منهم فليس من التكليف بما لا يطاق لانه ليس بالمحال عقلا لوقوع
بعض افراده من بعض المكلفين وهم المؤمنون ومدار التكليف على
الامكان العقلي لا استحالة سر القدر في المكلفين فالذكرى تنفع
المؤمنين ويقوم بها الحجة على الاخرين وما هو ممكن عقلا ليس بما لا
يطاق عقلا وامتناع بعض افراده من بعض المكلفين لسبق العلم
لا ينافي التكليف فان الحجة قايمة على الكافر بوقوع بعض افراده من
بعض ابناء جنسه وابناء بلده فقدم وقوعه منه لسبق العلم
التابع للمعلوم المستند باستعداد غير مجعول لما برز منه قبل فساد
الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه و
نسئل الله الكريم الجواد الرؤف الرحيم العفو والعافية الدايمة امين
لا يقال كما في المواقف الظواهر متعارضة لان قوله تعالى الله خالق كل شيء و
نحوه معارض للايات التي فيها نسبة الاعمال الى العباد واذا تعارضت
الظواهر وجب الرجوع الى غيرها من الدلايل العقلية القطعية لانا نقول

قبل الفعل ان حاصلها ان التكليف م

واما التعارض انما يتوهم عند الذهول عن الايات الدالة على توحيد الصفات
بعد التنبيه لهذا والتحقق بان توحيد الافعال مع نسبتها الى العباد
مبنى على توحيد الصفات لم يبق لشبهة التعارض وتوهم ان باذن
الله ولو لا هذا الاصل الذى عليه بنى التكليف مع توحيد الافعال كان
قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون الدال على ان الله خلقهم وخلق اعمالهم
مع اسناد العمل الى ضمير المخاطبين في تعملون قولا متناقضا ولا تناقض
في القرآن فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه
بعضا ولكن نزل ليصدق بعضه بعضا الحديث والتوزيع المذكور
في الكشاف غير صحيح لما مر في المقدمة ان الاية دالة على ان المجعول
عين المخلوق لكون النحت والتشكيل منهم عين خلق الله الاشكال
بهم وغيرهم بالذات وغيرها بالاعتبار وكلما كان كذلك بطل التوزيع
المذكور لبنائه على الاستقلال المستلزم لعدم توارد الخلق والعمل على
شيء واحد مع دلالة الاية على التوارد صراحة المستلزم لعدم
الاستقلال المستلزم لتوحيد الصفات المزيل للاشكال على ان
كلما احتج به في الموافق والمقاصد على نفي اصل التاثير انما يدل
على نفي الاستقلال لا على نفي اصل التاثير قطعا كما يظهر بمراجعتها
مع ادنى التفات فان التفتازاني ذكر خمسة اوجه في شرح المقاصد
صرح في اربعة منها بنفي الاستقلال وترك التصريح في واحد وهو
الثاني منها وبهذا المتروك فيه التصريح في المقاصد فتصريح فيه
السيد قدس سره في شرح المواقف بنفي الاستقلال فرجع الكل الى
نفي الاستقلال وبه نقول وبالله التوفيق **فان قلت**
فما تاويل كلامه الثاني الدال على ان القدرة الحادثة لا تاثير لها على وجه
يوافق كلامه الاول الدال على ان لها تاثيرا **قلت** ان يقال
الواقع بالقدرة الحادثة اى بتاثيرها هو كون الفعل بمعنى الحاصل بالمصدر

كسبا اى محصلا دون كونه موجودا او محدثا اى انما يطلق عليه الكسب
دون كونه موجودا او محدثا رعاية للادب وضرانه ايهام خلاف المقصود
فكونه كسبا اى محصلا وصف للوجود لان الفعل حين صدوره و
وقوعه يتصف بكونه كسبا اى محصلا لا قبله بمثابة كونه معلوما فان
المعلوم حين ظهوره لعين البصيرة ووجودها في الذهن بسبب النور
المقذوف في القلب الذى هو العلم يتصف بكونه معلوما لا قبله
هذا ما تيسر من التطبيق والله ولى التوفيق وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين قال شيخنا
المؤلف سلمه الله ومتعنا بحياته ورزقنا الشهود الدايم بيركته تم في ضحوة
الجمعة غرة شعبان المعظم سنة ١٢٦٦ في المدينة المنورة على مشرفها افضل
الصلاة واكمل التسليم انتهى

ووقع الفراغ في كتابته من النسخة يوم السبت
عاشر من شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٥ بربا كابندا
على كرم الله وجهه ورضي عنه وعن كل
الصحابة اجمعين بكاهار الله
المنورة على صرمني
وفق فيها افضل
الصلاة و
از كم السلا
م